

منهج فخر الدين الرازي في توجيه الحروف الزائدة
قراءة تحليلية لتفسير مواضع 'الباء' في مفاتيح الغيب

**Fakhr al-Dīn al-Rāzī's Method in Interpreting *al-ḥurūf al-zā'ida* 'Formally Superfluous Letters in Arabic Grammar':
An Analytical Study of the Particle *bā'* in *Mafātīḥ al-Ghayb***

أ. د. طاهر براهيمى *

عفاف قشي

جامعة غرداية (الجزائر)

جامعة غرداية (الجزائر)

guechi.afaf@univ-ghardaia.dz

brahimi.tahar@univ-ghardaia.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2025-10-04	تاريخ التقييم: 2025-11-17	تاريخ القبول: 2025-12-10
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص

يتناول البحث قضية زيادة حرف الباء في القرآن الكريم من خلال تحليل منهج الإمام فخر الدين الرازي، باعتبارها إحدى المسائل التي أثارت جدلاً بين النحاة والمفسرين منذ القرون الأولى، فبينما ذهب بعضهم إلى قبول فكرة الزيادة استناداً لوجود الظاهرة في كلام العرب رفض آخرون هذا الاتجاه رفضاً قاطعاً انطلاقاً من مبدأ تنزيه النص القرآني عن اللغو والحشو.

وفي هذا السياق تبين الرازي موقفاً حازماً برفض إطلاق وصف الزيادة على ألفاظ القرآن معتبراً ذلك يتعارض مع بلاغة القرآن وإعجازه، واعتمد في توجيهاته على منهجية مركبة تمزج بين النحو والبلاغة والتفسير، حيث يبدأ بذكر القول القائل بالزيادة ثم ينقده ليعيد الحرف إلى معناه الأصلي كالتبعية أو الإلصاق أو الملازمة أو التوكيد، وتتعدد وسائله في دفع القول بالزيادة على طرائق عديدة استقرينا جُلّها في هذا البحث .

وقد خلص البحث إلى نتائج مهمة أبرزها أن الرازي رسّخ قاعدة مفادها أن كل لفظ في القرآن محكم وله دلالة خاصة، وأن القول بالزيادة يفضي بالضرورة إلى وسم النص القرآني بالحشو وهو ما لا يستقيم مع قدسيته وخصوصيته البيانية. وهذا يتضح أن موقف

الرازي يمثل اتجاهاً علمياً رصيناً يجمع بين التحليل اللغوي والبلاغي والفقهى والتفسيري، ويؤكد على إعجاز القرآن الكريم وإحكام بنيته الأسلوبية.

الكلمات المفتاحية:

الباء في القرآن الكريم ؛ الزيادة النحوية ؛ فخر الدين الرازي ؛ التفسير ؛ الدلالة الوظيفية

Abstract:

This study investigates the debate over the so-called *al-ḥurūf al-zāʾida*—formally superfluous particles in Arabic grammar—through an analysis of Imām Fakhr al-Dīn al-Rāzī's methodology, focusing on the case of the prepositional particle *bāʾ* in the Qurʾān. The issue of *zāʾida* particles has long provoked scholarly controversy among grammarians and exegetes since the earliest centuries. Some scholars accepted the notion of formal superfluity, arguing that it is attested in Arabic usage—and since the Qurʾān follows the linguistic conventions of the Arabs—they interpreted such particles as devices of emphasis or reinforcement. Others, however, categorically rejected this view, maintaining that the Qurʾānic text contains no purposeless or non-functional elements.

In this context, al-Rāzī adopted a decisive stance, refusing to describe any Qurʾānic expression as superfluous, regarding such claims as incompatible with the eloquence and inimitability of the Qurʾān. His exegetical approach rests on a composite methodology that integrates grammar, rhetoric, and interpretation: he begins by citing the view that a given particle is *zāʾida*, then critiques it, and finally reinterprets the particle in light of one of its established functions in Arabic—such as partition, adhesion, association, or emphasis. His strategies for refuting the claim of superfluity are diverse, and this study surveys the principal methods he employed.

The research yields several key findings, foremost among them al-Rāzī's insistence that every word in the Qur'an is deliberate and carries a specific semantic or rhetorical function, and that attributing superfluity to the text necessarily implies assigning purposelessness to divine speech—an implication irreconcilable with its sanctity and rhetorical precision. Thus, al-Rāzī's position represents a rigorous scholarly orientation that combines linguistic, rhetorical, and exegetical analysis, affirming both the miraculous nature of the Qur'an and the perfection of its stylistic structure.

Keywords:

the prepositional particle *bā'* in the Qur'an : *al-ḥurūf al-zā'ida*: formal superfluity in Arabic grammar : *Fakhr al-Dīn al-Rāzī*: Qur'anic exegesis : semantic function.

*المؤلف المراسل:

مقدمة

يُعدّ الحديث عن الزيادة في ألفاظ القرآن الكريم من أبرز القضايا التي أثارت جدلاً بين المفسرين والنحاة منذ القرون الأولى، فقد تباينت المواقف بين من يرى أنّ بعض الحروف قد تردّ في النص القرآني على سبيل الصلة أو التوكيد أو التقوية دون أن تضيف معنى وظيفياً تؤدّيه في الأصل، وبين من يرفض هذا الموقف رفضاً قاطعاً انطلاقاً من مبدأ تنزيه النص القرآني عن اللغو والحشو، قال الطبري: " ... وقد بيّنا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له " ¹ ، وذلك في معرض ردّه على من قال بزيادة (ما) في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) آل عمران.

ويعدّ حرف الباء أحد الحروف التي أثارت الجدل لتعدد دلالاته واختلاف القول حول زيادته في مواضع من القرآن الكريم، مما جعله نموذجاً واضحاً حول قضية الزائد في القرآن.

ولقد تبَيَّ النحاة والمفسرون عدة مصطلحات للتعبير عن فكرة الزيادة، مثل الزيادة² واللغو³، والصلة⁴، والحشو⁵ والإقحام⁶، ومع أنَّ هذه المصطلحات تعكس خلفيات متباينة لمدرستين نحويتين مدرسة البصرة (اللغو والزيادة) ومدرسة الكوفة (الصلة والحشو)⁷، إلا أنَّها تتفق في جوهرها على الإشارة إلى إمكان وجود لفظ في النص دون وظيفة دلالية أساسية، غير أنَّ عدداً من المفسرين وفي مقدمتهم فخر الدين الرازي وقفوا ضد هذا التوجه؛ واعتبروا القول بالزيادة في القرآن يفضي بالضرورة إلى وصف كلام الله باللغو والحشو⁸، وهو ما لا يستقيم مع خصوصية النص المعجز ولا مع مقتضيات البيان القرآني، قال رحمه الله عن الكاف في قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: 11] "... فَإِنْ قَالُوا إِنَّ الْكَافَ زَائِدَةٌ، قُلْنَا هَذَا الْكَلَامُ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا الْحَرْفَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَغَوٌ وَعَبَثٌ وَبَاطِلٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ هُوَ الْبَاطِلُ، وَمَتَى قُلْنَا إِنَّ هَذَا الْحَرْفَ لَيْسَ بِبَاطِلٍ صَارَتْ الْحُجَّةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالْكَمَالِ"⁹.

ويكتسب موقف الرازي من حرف الباء أهمية خاصة لسببين: الأول: لأنه أبرز مثال على تداخل الدراسات النحوية والبلاغية والتفسيرية في معالجة القضايا القرآنية، والثاني: أنه يكشف عن منهج دقيق في تأويل النصوص التي وُصفت بالزيادة حيث يسعى الرازي إلى إرجاع الباء في كل موضع إلى دلالتها الأصلية أو البحث عن فائدة لها سواء أكانت للتبويض أم للإلصاق أو المقابلة ... رافضاً أن تُحمل على الحشو أو الزيادة.

وانطلاقاً من هذا المعطى جاء هذا البحث لتحليل موقف الرازي وتوجيهه لمواضع حرف الباء التي أُوِّلَت على الزيادة، مع تتبع منهجه التأويلي في نفي القول بالزيادة وإبراز ما يترتب على ذلك من نتائج دلالية وبلاغية تثري فهم النص القرآني وتعمق الإحاطة بأبعاده الأسلوبية.

1- جذور الخلاف حول القول بالزيادة في القرآن الكريم :

نشأ الجدل حول قضية الزيادة في القرآن الكريم منذ بداية تطوّر الدرس النحوي والتفسيري وظهر بمصطلحات متعددة؛ كالزيادة واللغو عند البصريين، والحشو والصلة عند الكوفيين.

وجوهر الخلاف لم يكن في وجود الظاهرة نفسها بقدر ما كان في توصيفها وتأويلها؛ فريق يرى أن بعض الحروف قد ترد على سبيل التأكيد فقط ، بينما أفسح فريق آخر مجالاً أوسع لمعان بيانية دلّت عليها تلك الزيادة أو حمل ما يقال عنه زائداً على المعنى الموضوع له في الأصل، وقد تطوّرت هذه المناقشات شاملة الحروف والأسماء والأفعال¹⁰، فصارت الزيادة مبحثاً نحويًا وبلاغياً وتفسيرياً واسع الأبعاد امتدّ الجدل حوله إلى .

1.1- المذاهب الرئيسية في الزيادة

يمكن تصنيف مواقف العلماء في ثلاثة اتجاهات أساسية:

أ- مذهب القبول المطلق للزيادة¹¹: وهو مذهب أكثر النحاة كما قال ابن الخشاب¹² ، ومنهم سيبويه والفراء وابن جني والزمخشري وغيرهم، حيث أجازوا القول بالزيادة استناداً إلى كثرة نظائرها في كلام العرب، ويُنظر إلى هذه الزيادة بوصفها موازيةً للحذف من جهة، وأداةً للتوكيد أو التقوية من جهة أخرى.

ب- مذهب الرفض المطلق للزيادة¹³: مثّل هذا التوجه بعض المفسرين واللغويين مثل الطبري، وفخر الدين الرازي، وابن الأثير، وابن مضاء الأندلسي ... ويرى أصحاب هذا المذهب أن الحكم على لفظ قرآني بالزيادة يتضمن مساساً ببلاغة النص وإعجازه، إذ يوحي بوجود ألفاظ لا وظيفة لها، وهو ما يتعارض مع خصوصية القرآن الكريم .

ت- مذهب الجواز المقيّد بالتأويل: ظهر عند بعض العلماء كالسيوطي والزركشي، الذين فضلوا تجنّب مصطلح «الزائد» لما قد يثيره من توهم الحشو ، فاستعاضوا عنه بأوصاف مثل التوكيد أو الصلة، مع تنبيههما على الوظيفة البيانية ، وبهذا يتوسط هذا الاتجاه بين القبول والرفض، إذ لا ينفي الظاهرة لكنه يحصرها في إطار بياني خارج صنعة النحويين يبعد النص القرآني من توصيف اللغوي بعض مفرداته ، قال السيوطي : " ... وَأَنَّهُ لَوْ تَرَكَ كَانَ الْكَلَامُ دُونَهُ مَعَ إِفَادَتِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى الْمُقْصُودِ أَبْتَرَّ خَالِيًا عَنِ الرُّوْنَقِ الْبَلِيغِيِّ لَا شُبْهَةَ فِي ذَلِكَ وَمِثْلُ هَذَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالْإِسْنَادِ الْبَيِّنِيِّ الَّذِي خَالَطَ كَلَامَ الْفُصَحَاءِ وَعَرَفَ مَوَاقِعَ اسْتِعْمَالِهَا وَذَاقَ حَلَاوَةَ أَلْفَظِهِمْ وَأَمَّا النَّحْوِيُّ الْجَائِي فَعَنْ ذَلِكَ بِمُنْقَطَعِ التَّرَى " ¹⁴ .

2.1- مسألة الزيادة عند المعاصرين :

شهد العصر الحديث تجديد الاهتمام بمسألة الزيادة في القرآن الكريم؛ فقد دافع باحثون مثل فضل حسن عباس في كتابه « لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن » وطالب الزوبعي في كتابه « الحروف الزائدة في ظل الدراسات القرآنية » وعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ في كتابها « الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق » ، وقبلهم عبد الله دراز عن رفض وصف أي لفظ قرآني بالزيادة، مبرزين أن ما يُظن زائداً إنما يحمل قيمةً بلاغيةً أو بيانية لم تكن دون ذلك اللفظ ، كما أكدوا أن قواعد النحو ينبغي أن تُستمد من النص القرآني لا أن تُفرض عليه وأي إخلال بهذه القاعدة يؤدي إلى منزلقات معرفية شبيهة بما وقع لبعض النحاة من تلحين قراءات متواترة¹⁵ ، وتنسجم هذه المواقف إلى حد كبير مع ما ذهب إليه الرازي في تفسيره ، حيث جعل كل لفظ من ألفاظ القرآن محتملاً بدلالة مخصوصة.

3.1- موقع حرف الباء في هذا الخلاف

يعتبر حرف الباء من أكثر الحروف التي وُصفت بالزيادة بعد (لا) من حيث عدد المواضع ، فحكم زيادته في مواضع متعددة وشكّلت هذه المواضع ميداناً واسعاً للنقاش بين القائلين بالزيادة والممانعين لها، بل تفرع عن هذا الخلاف خلافٌ فقهي في بعض المواضع كما سيأتي.

وجاء هذا البحث لبيان منهج الرازي في التعامل مع قاعدة أقرّها في مواضع كثيرة من تفسيره، وفيها ينقض آراء المجيزين للزيادة ، مستدلاً بالحجج النحوية والبلاغية والشرعية وحتى السياقية ، ليؤكد أن الباء في كل موضع تؤدي وظيفة دقيقة، سواء أدت وظيفة أصلية فيها كالتبعية أو الإلصاق أو التوكيد أو أضافت لمسة بيانية زائدة عن التوكيد .

2- تحليل موقف الرازي من مواضع زيادة حرف الباء :

تعددت طرائق تحليل الرازي لمواضع زيادة الباء بحسب سياق كلّ موضع، وبعد استقراء موقفه من كل المواضع يمكننا تلخيص منهجه في النقاط الآتية :

1.2- التصريح بموقفه تجاه القول بالزيادة :

يصرح الإمام فخر الدين الرازي برفض القول بالزيادة في ألفاظ القرآن الكريم ويؤكد أن هذا القول لا يتناسب مع إعجاز النص القرآني ولا مع بلاغته؛ إذ إن الحكم بزيادة الحرف يقتضي إلغاء وظيفته الدلالية، وهو ما لا يمكن قبوله في كلام الله تعالى؛ ولهذا يحرص في مواطن متعددة على بيان المعنى الذي تؤديه تلك الحروف، وإبراز ما تنطوي عليه من دلالات نحوية وبلاغية دقيقة؛ ليدفع بذلك دعوى الزيادة ويثبت أن لكل حرف موقعاً وأثراً في السياق؛ ومن الأمثلة على هذا تفسيره لقوله تعالى: (بِالْمُودَّةِ)¹⁶ حيث حكم بعض المفسرين بزيادة الباء والتقدير عندهم: تُلقون إليهم المودة¹⁷، إلا أن الرازي رفض هذا القول جازماً بوجود فائدة للباء لأن القول بالزيادة في كلام الله لا يمكن¹⁸ في نظره.

واختار البيضاوي معنى السببية لهذا الموضع؛ أي تخبرونهم بسبب المودة¹⁹.

2.2- رد القول بالزائد بترجيح غيره :

من وسائل دفع القول بالزيادة عند الرازي ردّ المذهب القائل بالزيادة بترجيح قول آخر فيه وجه يفيد دلالة للباء؛ ومثاله قوله تعالى: (بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ)²⁰، عدّ أبو عبيدة الباء زائدة في (بِإِلْحَادٍ)، وقدر المفعولية ليكون التقدير يُردّ إلحاداً، والأولى من هذا المنحى عند الرازي ما ذهب إلى الزمخشري والذي قدر حذف مفعول يرد واعتبار بإلحادٍ بِظُلْمٍ حالان مترادفتان.

وذكر السمين الحلبي أربعة أوجه عند توجيهه لهذا الموضع منها: أن يكونَ (بِظُلْمٍ) متعلقاً بـ (يُردّ)، وحمل الباء على معنى السببية²¹ وهو مرتبط باعتبار (بِإِلْحَادٍ) مفعولاً به، ومنها حمل الباء في إلحاد على التعدية بتضمين معنى يتلبّس²².

3.2- نقل الخلاف دون ترجيح :

أحياناً ينقل الرازي الخلاف حول زيادة الباء دون ترجيح نحو توجيهه لقوله تعالى: (بِأَيْدِيكُمْ)²³، إذ نقل الرازي اتفاق المفسرين على أحد احتمالين: الأول زيادة الباء والثاني وقوع حذف يصح به المعنى بها، فعلى القول بالزيادة يكون التقدير: وَلَا تُلْقُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وعلى الحذف يكون التقدير: وَلَا تُلْقُوا بِأَنْفُسِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، أو وَلَا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ²⁴.

ومع أن الرازي في هذا الموضع لم يرجح القول الثاني إلا أن استحضر موقفه العام يجعل نقله للقولين من باب إثبات وجود تأويلٍ يصح به المعنى دون القول بالزيادة ، انسجاماً مع موقفه العام فهو القائل إن : " الْحُكْمُ بِأَنَّ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ لَعُوٌّ فِي غَايَةِ الْبُعْدِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُقْصُودَ مِنَ الْكَلَامِ إِظْهَارُ الْفَائِدَةِ فَحَمْلُهُ عَلَى اللَّغْوِ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ يُفِيدُ فَائِدَةً زَائِدَةً ... " ²⁵ .

وحمله غيره كابن عطية على ضرب المثل كقولهم : ألقى فلان بيده في أمرٍ كذا إذا استسلم ²⁶ .

4.2- حمل الحرف الزائد على دلالة أصلية فيه :

في تفسير قول تعالى : (كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا) ²⁷ ، عرض الرازي الوجوه التي ذكرت لفائدة زيادة الباء ²⁸ ، ومنها القول بأن زيادتها أفادت كفاية خاصة لله عز وجل ليست كالكفاية من غيره عظيمة ورفعة منزلة ، ومنها القول بتقدير محذوف وهو (اكتفاؤك) أي كفى اكتفاؤك بالله ودلّ عليه لفظ (كفى) ، ثم اختار قولاً مخالفاً عبّر عنه بقول -يخطر ببالي- وهو وقوعها على دلالة أصلية فيها وهي الإلصاق : لأنها في تقدير الرازي أفادت معنى الكفاية بغير واسطة منه عز وجل ، ولو حذفت لبقى احتمال الكفاية بواسطة وبغير واسطة .

وفي قوله تعالى : (وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) المائدة : 06 ، رجّح الرازي أن الباء هنا للتبويض ، والمعنى امسحوا بعض رؤوسكم ، ولو كانت الباء زائدة لكان النص دالاً على وجوب مسح جميع الرأس ، وهذا خلاف الإجماع .

وتفرّع عن هذا الخلاف في زيادة الباء خلاف فقهي مشهور حول الواجب في مسح الرأس وبترجيح الرازي لدلالة التبويض يعزّز مذهبه في مسألة الزيادة ويعضد مذهبه الفقهي - الشافعي - أيضاً ، ولا يخفى أن عدداً من العلماء أثبتوا معنى التبويض للباء منهم الأصمعيّ والفارسيّ وابن مالك ونحاة الكوفة ²⁹ .

5.2- الترجيح الضمني :

في موضع (بمثليها) ³⁰ لم يشر الرازي لاحتمال الزيادة وعمد لتفسير الآية بناء على معنى أصليّ في الباء مع أنّه ورد صراحة القول بزيادتها عند من سبقه كالأخفش ³¹ ،

فاقتصر على توجيه سبب رفع (جزاء) نقلا عن الفراء ، ثم لَمَحَ لترجيح معنى المقابلة في قول ابن الأنباري عند اشتراطه وجود عائد الموصول ليكون التقدير : فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِنْهُمْ بِمِثْلِهَا دون تصريح منه.

6.2- نسبة القول بالزيادة لغيره وتعقيبه بنقل يقدر الحذف :

تقدير المحذوف أداة دلالية يوظفها الرازي عند دفع القول بزيادة حرف الباء ، ففي قوله تعالى : (بجذع)³² ، ينقل الرازي عن ثعلب القول بزيادة الباء والتقدير هَزِي (حَرْكِي) جذع النخلة ، ثم تعقب الرازي هذا القول بنقلٍ عن الأخفش يُجيز معنى آخر على تقدير محذوف وهو الرطب ليكون التقدير : هَزِي إِلَيْكَ رَطْبًا بجذع النخلة³³. فالرازي إن لم يصرح برفض القول بالزيادة هنا فهو يعرض بديلا يؤيد مذهبه في وجود فائدة لما قيل عنه بأنه زائد .

7.2- القول بالزيادة مع غرض التأكيد :

أحيانا ينقل الرازي القول بالزيادة دون غيره ولكنه يستصحب معنى التأكيد مع اختيار مصطلح الصلة، نحو توجيهه للباء في قوله تعالى : (بِسُورٍ)³⁴ .

فقال : " الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ : بِسُورٍ صِلَةٌ وَهُوَ لِلتَّكْثِيرِ وَالْتَّقْدِيرِ : ضَرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا كَذَا ، قَالَهُ الْأَخْفَشُ " ³⁵ .

8.2- نقل القول بالزيادة مع نقل الاعتراض عليه :

يعمد الرازي أحيانا في نفي الزيادة إلى النقل عن النحاة، ففي قوله تعالى : (بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونُ)³⁶ ، نقل القول بزيادة الباء عن الأخفش وَأَيُّ عُبَيْدَةٍ وَابْنِ قُتَيْبَةَ ثم عَقَّبَ بطعن الفراء في هذا القول واضعا قاعدة تمثل جوهر منهج الرازي وهي : " إِذَا أَمَكَّنَ فِيهِ بَيَانُ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ مِنْ دُونِ طَرَحِ الْبَاءِ كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَى " ³⁷ .

9.2- توجيه معنى الزيادة باستحضار النظير وبيان الفروق :

في قله تعالى (يَشْرَبُ بِهَا)³⁸ ، قارن الرازي بينها وبين الآية السابقة لها (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) ، وقدر معنى مزج الشراب ، يمزجون بها شراهم ؛ ليكون معناها على هذا التقدير هو التبويض³⁹

10.2- تضعيف القول بالزيادة من جهة المعنى المترتب عنها :

هذا المنحى يكون بتضعيف مقتضى القول بالزيادة لا القول بالزيادة ذاته ، أي تضعيف المعنى المترتب عن اعتبار الحرف زائدا ، ومثاله تفسير الرازي لقوله تعالى : (يَاسْمُ) ⁽⁴⁰⁾ ، فبعد ذكره لمذهب أبي عبيدة القائل بزيادة الباء على تقدير : اذكر اسمَ رَبِّكَ ، ضَعَفَهُ بمقتضى معنى هذا التقدير ، لأنَّه لو قدرنا هذا المعنى لا يحسن القول بعده (ما أنا بقارئ) ، ولا ينسجم مع حال الرسول «ص» الذي كان مشغولا بالذكر ، ثم فيه تضييع للباء من غير فائدة ⁽⁴¹⁾ وهو ما يسعى الرازي دائما لتقريره متى ما لاح له ذلك أي البحث عن فائدة لما حكم بزيادته.

3- الباء الزائدة في خبر ليس وما المشبهة بها :

لم ينسحب منهج الرازي في رفض القول بالزيادة على الباء الزائدة في خبر ليس وما ، ولم يأت على ذكر قاعدته في مواضعهما ، وجاءت هذه الباء مقترنة بخبر ليس في ثلاثة وعشرين موضعا ولم يرد مثلها خاليا من الباء إلا في ثلاثة مواضع ، وقد وقفت عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ⁽⁴²⁾ على هذه المواضع مبررة خصوصيتها المقتضية لعدم إلحاق الباء بها .

كما وقفت على عادة قرآنية وهي ملازمة الباء لخبر ما إلا إذا تليت ب (كان) ؛ فينصب الخبر به صريحا مفردا غير مقترن بالباء ، ويكاد يطرد اقتران الخبر المفرد الصريح بالباء إلا في موضعين .

نتائج البحث :

خُصَّ التحليل السابق إلى مجموعة من النتائج الرئيسة التي توضَّح موقف الرازي من قضية زيادة الباء في القرآن الكريم، يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا : الرفض الصريح لإطلاق "الزيادة" :

أكَّد الرازي في مواطن متعددة من مفاتيح الغيب أن القول بالزيادة لا يليق بكلام الله تعالى، لأنَّه يوهم باللغو والعبث، وقد عبَّر عن ذلك في موضع متعددة في تفسيره وهذا الموقف يضع الرازي في صدارة المذهب الرافض لوصف أي حرف قرآني بالزيادة.

ثانيا : إثبات وظيفة نحوية أو بلاغية دقيقة للحرف الزائد (الباء):

بين الرازي أن الباء في المواضع التي حُكم عليها بالزيادة تأتي لدلالات محددة؛ كالتبعية والتوكيد والإلصاق والملابسة والمقابلة ... وهذا يؤكد أن وجود الباء ليس عارضا ؛ بل مرتبط بوظيفة دلالية أو بلاغية يقتضيها السياق.

ثالثا : الانتصار لتيار ينزه النص القرآني عن الحشو والزيادة :

يندرج موقف الرازي ضمن اتجاه يرفض أن يُوصَف أيُّ لفظ قرآني بأنه زائد أو جاء حشواً فهو يتبنّى منهجاً متوافقاً مع اتجاهات مفسرين ولغويين وبلاغيين كالطبري وابن الأثير وابن مضاء الأندلسي... الذين شددوا على قدسية النص القرآني وإعجاز بنائه، ورأوا أن القول بالزيادة يتعارض مع صفة الإعجاز وسرّ البيان.

رابعا : اعتماد منهج مركب يجمع بين النحو والبلاغة والتفسير

اعتمد الرازي في توجيهاته على منهجية متكاملة: تبدأ بذكر القول النحوي القائل بالزيادة ، ثم ينقده ويعيد الحرف إلى أحد معانيه الأصلية في العربية أو يحيل على فائدة أو ينقل ما يعزز مذهبه أو يرد القول بالزيادة بمقتضى القول بها أو يُضمّن موقفه أو يصرّح به ... موظفاً التحليل البلاغي والدلالي إلى جانب الاستدلال التفسيري والفهمي .

الخاتمة

كشفت هذه الدراسة عن موقف الإمام فخر الدين الرازي من قضية زيادة حرف الباء في القرآن الكريم يمثل توجهاً علمياً صارماً يقوم على تنزيه النص القرآني عن أي عنصر غير وظيفي ، فقد رفض الرازي بشكل قاطع إطلاق وصف « الزيادة » على الحروف القرآنية ، معتبراً أن ذلك يتعارض مع بلاغة القرآن وإعجازه، وأن كل لفظ فيه محكم وله دلالة مخصوصة.

وقد اتضح من خلال تحليل منهجه أنه اعتمد مقاربة مركبة تمزج بين النحو والبلاغة والتفسير ، بحيث لا يكتفي بعرض الأقوال القائلة بالزيادة، بل يفندوها ويعيد الحرف إلى معانيه الأصلية كالتبعية أو الإلصاق أو الملابسة أو التوكيد...

وتبرز أهمية هذا الموقف في أنه يعكس فهما عميقا لوظائف الحروف في السياق القرآني ويؤكد أن ما يراه بعض النحاة أو المفسرين زيادة إنما يؤدي وظيفة دقيقة تثري الدلالة ، وبالتالي فإن الرازي لا يقف عند حدود الخلاف النحوي، بل ينطلق إلى أفق أوسع يجعل من التحليل اللغوي والبلاغي أداة لتأكيد إعجاز القرآن الكريم وإحكام بنائه.

وبهذا يمكن القول إن الرازي أرسى منهجاً متوازناً يجمع بين الدقة النحوية والعمق البلاغي والوعي التفسيري، مما يجعل دراسته لحرف الباء نموذجاً دالاً على قدرته في توجيه النصوص القرآنية بما يحفظ قدسيتها ويفتح آفاقاً أرحب لفهمها.

مراجع البحث :

- 1- الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، تحقيق هدى محمود قراعة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط 1 ، 1411 هـ 1990م.
- 2- بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، مصر، القاهرة، دار المعارف، ط 3، د ت ط.
- 3- البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ .
- 4- ابن جني أبو الفتح ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط 2. د ت ط .
- 5- الخليل بن أحمد ، الجمل في النحو المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط 5 ، 1416 هـ 1995م.
- 6- الرازي فخر الدين ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، لبنان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط 3 ، 1420 هـ.
- 7- الزجاج أبو إسحاق ، معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلي ، بيروت ، عالم الكتب ، ط 1 ، 1408 هـ - 1988م.
- 8- الزمخشري جار الله ، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ضبطه وصححه ورتبه: مصطفى حسين أحمد ، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت ، ط 3 ، 1407 هـ - 1987 م .

- 9- السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق ، د ت ط .
- 10- سيبويه عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط 3، 1408 هـ - 1988 م.
- 11- السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ت ط ، 1394 هـ 1974 م.
- 12- أبو عبيدة معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ، تحقيق : محمد فواد سزكين ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1381 هـ
- 13- ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1 ، 1422 هـ
- 14- الطبري محمد بن جرير ، تفسير الطبري / جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة ، مصر ، القاهرة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط 1 ، 1422 هـ - 2001 م.
- 15- الفراء أبو زكريا ، معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلي ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.
- 16- فضل حسن عباس ، كتابه لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن ، دار النور بيروت لبنان ، ط 1 ، 1410 هـ 1989 م
- 17- المبرد أبو العباس ، كتاب المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، مصر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ط 3 ، 1415 هـ - 1994 م.
- 18- ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب ، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر، دمشق ، ط 6 ، 1985 م.

المقالات :

- 1- سامي عطاء حسن ، حروف الزيادة في القرآن بين المجيزين والمنايعين (لا نموذجاً) ،
جامعة آل البيت ، مقال على الأنترنت ص من 10 إلى 12 .: تم التصفح بتاريخ :
2025/08/10م <https://dn721808.ca.archive.org/0/items/azus5/azus5.pdf>
- 2- طاهر براهيم ، موقف فخر الدين الرازي من الحروف الزائدة في القرآن الكريم " لام
الصلة في مفاتيح الغيب نموذجاً " ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، المركز الجامعي
لتامنغست (الجزائر) ، المجلد 08 العدد 04 ، 2019م.

الإحالات :

- ¹ الطبري محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري) ، تحقيق: د عبد الله بن عبد
المحسن التركي ، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة ،
مصر ، القاهرة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط 1 ، 1422 هـ - 2001 م ، ج 2 ص 307.
- ² ينظر: سيويو عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة
، ط 3، 1408 هـ - 1988 م ، ج 1 ص 41. وينظر: المبرد أبو العباس ، المقتضب ، تحقيق: محمد عبد
الخالق عظيم. ، عالم الكتب. - بيروت ، ج 1 ص 47.
- ³ ينظر: سيويو ، مرجع سابق ، ج 2 ص 286.
- ⁴ ينظر: الفراء أبو زكريا ، معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح
إسماعيل الشلي ، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ، ط 1 ، ج 1 ص 95.
- ⁵ نفسه ، ج 1 ص 58.
- ⁶ ينظر: الجمل في النحو ، المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط 5 ،
1416 هـ 1995 م ، ص 305 ، 334 ، 279.
- ⁷ ينظر مقال للمؤلف : طاهر براهيم ، موقف فخر الدين الرازي من الحروف الزائدة في القرآن الكريم "
لام الصلة في مفاتيح الغيب نموذجاً " ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، المركز الجامعي تامنغست
(الجزائر) ، المجلد 08 العدد 04 ، 2019م ، ص 359 ، 360.
- ⁸ الرازي فخر الدين ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، لبنان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط 3 ،
1420 هـ ، ج 1 ص 96.
- ⁹ الرازي ، مصدر سابق ، ج 1 ص 112.
- ¹⁰ في التالي مجموع ما قيل بزيادته مع تحديد موضعه :
- الحروف هي :
- (إلى في سورة إبراهيم : 37 في قراءة من فتح الواو في (تَهْوِي)) ، (الباء في سورة البقرة : 195 و طه : 94)
(اللام في سورة: ن الحديد 01) ، (من : في سورة البقرة: 106) ، (عن : في سورة النور الآية 63) ،

في : في سورة الأحقاف الآية 15) ، (الكاف : في سورة الشورى الآية 11) ، (الواو : في سورة الزمر : الآية 63) ، (الفاء : في سورة المدثر الآية 03) ، (أم : في سورة الزخرف الآية 58) ، (لا : في سورة النساء : 65) ، (إلا : في سورة البقرة : 171) ، (ألا : في سورة البقرة : 13) ، (ما : في سورة البقرة : 88) ، (أن : في سورة العنكبوت : 33) ، (إن : في سورة الأحقاف : 26) ، (إن : في سورة الكهف : 30) ، (ثم : في سورة التوبة : 118) ، (لعل : في سورة يوسف : 46) .

و الأسماء هي :

(مثل : في سورة البقرة 137) ، (مثل : في سورة البقرة 35) ، (إذا : في سورة الانشقاق : 01) ، (إذ : في سورة البقرة : 30) ، (اسم : الرحمن 78) ، (وجه : في سورة الرحمن : 27) .

أما الأفعال فهي :

(كان : في سورة الشعراء : 112) ، (يكذ : في سورة النور : 40)

وللتفصيل أكثر ينظر: فضل حسن عباس ، كتابه لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن ، دار النور ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1410 هـ 1989 م ، ص 65 إلى 70 .

¹¹ ينظر : سامي عطاء حسن ، حروف الزيادة في القرآن بين المجيزين والمنايعين (لا نموذجاً) ، جامعة آل البيت ، مقال على الأنترنت ص من 10 إلى 12 .:

<https://dn721808.ca.archive.org/0/items/azus5/azus5.pdf>

¹² ينظر: السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ت ط ، 1394 هـ 1974 م ، ج 2 ص 318 ، 319 .

¹³ نفسه ، ص من 12 وما بعدها .

¹⁴ السيوطي جلال الدين ، مرجع سابق ، ج 2 ص 319 .

¹⁵ ينظر: ابن جني أبو الفتح ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط 2 ج 1 ص 94 . والزجاج أبو إسحاق ، معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، بيروت ، عالم الكتب ، ط 1 ، 1408 هـ - 1988 م ، ج 1 ص 431 / ج 3 ص 159 ، والمبرد أبو العباس ، كتاب المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ، مصر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ط 3 ، 1415 هـ - 1994 م ، ج 2 ص 171 / ج 2 ص 6 ، و الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، تحقيق هدى محمود قراعة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط 1 ، 1411 هـ 1990 م ، ج 2 ص 407 .

¹⁶ الآية 01 من سورة الممتحنة .

¹⁷ ينظر: الزمخشري جار الله ، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ضبطه وصححه ورثته: مصطفى حسين أحمد ، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت ، ط 3 ، 1407 هـ - 1987 م ، ج 4 ص 512 . وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ، تحقيق : محمد فواد سزكين ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، 1381 هـ ، ج 2 ص 257 .

¹⁸ الرازي ، مصدر سابق ، ج 29 ص 516 .

- ¹⁹ البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط 1 ، 1418 هـ ، ج 5 ص 204.
- ²⁰ الآية 25 من سورة الحج.
- ²¹ ينظر: السمين الحلبي ، الدرامصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق ، د ت ط ، ج 8 ص 259. وينظر: ابن هشام ، مرجع سابق ، ص 139.
- ²² السمين الحلبي / مرجع سابق ج 8 ص 260 .
- ²³ الآية 195 من سورة البقرة
- ²⁴ الرازي ، مصدر سابق ، ج 5 ص 294.
- ²⁵ الرازي ، مصدر سابق ، ج 1 ص 96.
- ²⁶ ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 1 ، 1422 هـ ، ج 1 ص 264.
- ²⁷ الآية 45 من سورة النساء. وهي الباء الغالبة ، ينظر: ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر، دمشق ، ص 144.
- ²⁸ الرازي ، مصدر سابق ، ج 10 ص 92
- ²⁹ ينظر: ابن هشام الأنصاري ، مرجع سابق، ص 142 .
- ³⁰ الآية 27 من سورة يونس.
- ³¹ ينظر الأخفش الأوسط ، معاني القرآن للأخفش ، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط 1 ، 1411 هـ - 1990 م ، ج 1 ص 372.
- ³² الآية 25 من سورة مريم .
- ³³ الرازي ، مصدر سابق، ج 21 ص 568 .
- ³⁴ الآية 13 من سورة الحديد .
- ³⁵ الرازي ، مصدر سابق ، ج 29 ص 458.
- ³⁶ الآية 9 من سورة ن .
- ³⁷ الرازي ، مصدر سابق ، ج 30 ص 602.
- ³⁸ الآية 06 من سورة الإنسان .
- ³⁹ ابن هشام مرجع سابق ، ص 142.
- ⁴⁰ الآية 01 من سورة العلق .
- ⁴¹ الرازي ، مصدر سابق ، ج 32 ص 215.
- ⁴² عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، مصر، القاهرة، دار المعارف، ط 3، د ت ط، ص 182.